

روح المعاني

المذكر على المؤنث عند إجتماعهما بإتفاق وأيضاً لو لم تدخل الإناث في ذلك لما شارك في الأحكام لثبوت أكثرها بمثل هذه الصيغة واللازم منتف بالاتفاق كما في أحكام الصلاة والصيام والزكاة وأيضاً لو أوصى لرجال ونساء بمائة درهم ثم قال : أوصيت لهم بكذا دخلت النساء بغير قرينة وهو معنى الحقيقة فيكون حقيقة في الرجال والنساء ظاهراً فيهما وهو المطلوب وأجيب أما عن الأول فبأنه إنما يدل على أن الإطلاق صحيح إذا قصد الجميع والجمهور يقولون به لكنه يكون مجازاً ولا يلزم أن يكون ظاهراً وفيه النزاع .

وأما عن الثاني فبمنع الملازمة نعم يلزم أن لا يشاركهن في الأحكام بمثل هذه الصيغة وما المانع أن يشاركن بدليل خارج والأمر كذلك ولذلك لم يدخلن في الجهاد والجمعة مثلاً لعدم الدليل الخارجي هناك وأما عن الثالث فبمنع المبادرة ثمة بلا قرينة فإن الوصية المتقدمة قرينة دالة على الإرادة فالحق عدم دخول الإناث ظاهراً نعم الأولى هنا القول بدخولهن بإعتبار التغليب وزعم بعضهم أن لا تغليب بل الأمر للرجال فقط كما يقتضيه ظاهر الصيغة ودخول الإناث في الأمر بالتقوى للدليل الخارجي ولا يخفى أن هذا يستدعي تخصيص لفظ الناس ببعض أفرادهم لأن إبقاؤه حينئذ على عمومهم مما يأباه الذوق السليم والمأمور به إما الإتياء بحيث يشمل ما كان بإجتناّب الكفر والمعاصي وسائر القبائح ويتناول رعاية حقوق الناس كما يتناول رعاية حقوق الله تعالى .

وأما الإتياء في الإخلال بما يجب حفظه من الحقوق فيما بين العباد وهذا المعنى مطابق لما في السورة من رعاية حال الأيتام وصلة الأرحام والعدل في النكاح والإرث ونحو ذلك بالخصوص بخلاف الأول فإنه إنما يطابقها من حيث العموم وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضمير المخاطبين ما لا يخفى من تأييد الأمر وتأكيد إيجاب الإمتثال وكذا في وصف الرب بقوله سبحانه : الذي خلقكم من نفس واحدة لأن الإستعمال جار على أن الوصف الذي علق به الحكم علة موجبة له أو باعثة عليه داعية إليه ولا يخفى أن ما هنا كذلك لأن ما ذكر يدل على القدرة العظيمة أو النعمة الجسيمة ولاشك أن الأول يوجب التقوى مطلقاً حذراً عن العقاب العظيم وأن الثاني يدعو إليها وفاء بالشكر الواجب وإيجاب الخلق من أصل واحد للإتياء على الإحتمال الثاني ظاهر جداً وفي الوصف المذكور تنبيه على أن المخاطبين عالمون بما ذكر مما يستدعي التحلي بالتقوى وفيه كمال توبيخ لمن يفوته ذلك والمراد من النفس الواحدة آدم عليه السلام والذي عليه الجماعة من الفقهاء والمحدثين ومن وافقهم أنه ليس سوى آدم واحد وهو أبو البشر وذكر صاحب الأخبار من الإمامية في الفصل الخامس عشر خبراً طويلاً نقل

فيه أن اﷻ تعالى خلق قبل أبينا آدم ثلاثين آدم بين كل آدم وآدم ألف سنة وأن الدنيا بقيت خرابا بعدهم خمسين ألف سنة ثم عمرت خمسين ألف سنة ثم خلق أبونا آدم عليه السلام وروى ابن بابويه في كتاب التوحيد عن الصادق في حديث طويل أيضا أنه قال : لعلك ترى أن اﷻ تعالى لم يخلق بشرا غيركم بلى واﷻ لقد خلق ألف ألف آدم أنتم في آخر أولئك الأدميين وقال الميثم في شرحه الكبير على النهج ونقل عن محمد بن علي الباقر أنه قال :